

الكتابة الغرافيتية والقانون السوسيولساني

Graphite Writing and Socio-linguistics law

الجمعي بولعراس

Al-Jamai Boulaares

معهد اللغويات العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية

بريد الكتروني: dboulaares@ksu.edu.sa

تاريخ التسليم: (2013/9/8)، تاريخ القبول: (2013/12/23)

ملخص

لا ريب في أن الأوضاع الاجتماعية بمختلف مشاربها السياسية والثقافية وغيرها تضمنتها اللغة، وأن العلاقة بين السياقين الاجتماعي واللغوي متين، وهذا ما حاولت اللسانيات الاجتماعية بلورته من خلال التقارب المنهجي لعلمي الاجتماع واللسانيات، ومن هنا فإن بحثنا يحاول أن يسلط الضوء على ظاهرة بارزة على السطح اليوم، وهي ظاهرة تواتر العبارات المنحرفة في النسيج اللساني الاجتماعي من حيث الكم والنوع التي تصيب اللغة العربية المعاصرة، وتدلل على مؤشر خطير في مسارات الكلام، وبخاصة في تمثل مفردات اللغة العربية ونصوصها المعاصرة المواكبة للمستجدات السياسية والثقافية والاجتماعية المعاصرة، الأمر الذي دعا العلماء إلى النظر في: هل الفعل الاجتماعي ناتج عن مستحاثات اللغة؟

الكلمات المفتاحية: الكتابة- الغرافيتية – القانون- السوسيولساني.

Abstract

Social aspects including, among others, politics and culture are contained in languages. The relationship between the two contexts is solid. This is what Socio-linguistics tried to establish through the systematic scientific convergence of Sociology and Linguistics. This study focuses on the notable increase of deviant phrases in the Socio-linguistic text, in terms of quantity and quality, which infects the contemporary Arabic language and points at a serious development in the

speech paths, particularly in representing the vocabulary and Arabic texts of contemporary developments in the political, cultural and social aspects, which attracted scientists' attempts to think of whether or not social actions are a result of language motivation.

Keywords: Graphite- writing- socio-linguistics- law.

تمهيد

يقول المعري: (... وقد تأملت العوالم فوجدت عالم الجماد يشبه العالم النامي من جهات، ووجدت النامي يشبه العالم الحي غير الناطق شبيهاً أغلب من الجماد بالنامي، ووجدت الحي غير الناطق يشبه الناطقين شبيهاً أغلب من الذي قبله، ووجدت الناطقين يشبهون عالم نطقهم في بعض الشئون...) (المعري، 1984، 416). بل يكاد القول يتطابق مع الفعل، وقديماً تقبلنا فكرة الاعتباطية اللسانية في الدراسة المستقلة للغة المنطلقة من الذات اللغوي ولأجله (Saussure. F, 1972)، والمتأمل يلحظ أن مسارات الكلام تتحكم بها أنظمة المجتمع التي تولد النظام اللساني وتغير مساراته، ومن ثم فالتوجيهات القواعدية أساسها المجتمع، إن الاعتباطية اللغوية لا توصف بمعيار يباعد أصل الاعتباط اللساني الذي هو الاعتباط السلوكي الفعلي والاعتقادي الاجتماعي، فالإنسان عنصر من المكون النسيجي الاجتماعي، وإضافة إلى أنه تربطه وشائج علائقية بالنسيج الاجتماعي فهو بوتقة نفسية تتفاعل فيها هذه الطبولوجيا المجتمعية ويتمثلها بدرجات متغايرة، والذي يهتما في هذه الورقة هو الكشف الباثولوجي في التمثل اللساني، والذي يقودنا إلى تصور جديد عن أنظمة اللسان ومنطلقات دراسته.

المعروف أن الفرد الاجتماعي عنصر من الجماعة التي تربطه به علائق تفاعلية تصورية ثم تربطه وشائج أخرى بالمحيط والوضع الاجتماعي العام، السياسي والاقتصادي والأيدولوجي ... وغير ذلك من مجالات الحياة، وكل هذه العوامل تترك إشعاعات سيكولوجية في الصورة الذهنية والطريقة التعبيرية والأسلوبية في السلوك عامة والسلوك اللغوي خاصة، فالبصمة المكونة في الذات الإنسانية ناتج داخلي وخارجي وناتج بمعيار راهني الزمان والمكان. ومن ثم تتجلى الإشكالية التي نريد أن نلفت إليها النظر من ناحية الانحرافات التشكيلية والدلالية في الوضع اللغوي الموصوف بالمتوحش وما يلحق باللغة من أوصاف الإرهابية وغير المنطقية والمترجمة في فعل السلوك والانطباعات العامة عن الشعوب في السياقات المعاصرة في التعاملات اليومية، ومن هنا فالملاحظ لمسارات الكلام يندesh لهذه الانعطافات الخطيرة التي غاب فيها التوجيه والرقابة، ومن ثم تطورت الظاهرة اللسانية تطوراً جرثومياً لا يحكمها ضابط ولا قانون ولا تشكل عقلائي اجتماعي.

ومن جملة هذه المظاهر:

1. المظاهر الجرافيتية والقانون اللغوي

كتب العلماء من القديم إلى العصر الحالي كتابات وصفية تهدف إلى تععيد للسلوك اللغوي وتفرض سلطة للغة على الإنسان دون إقران هذه القواعد بدراسة موازية بالقطب الاجتماعي بحيث تقرر كيانا سلطويا أيضا بمنتج النظام اللساني وأصله، وانطلاقا من هذه السلطة السوسولوجية انعكست منعكسات في اللغة وتوجهات في الكلام أيديولوجية وقيمية وعرفية ... وغير ذلك، الأمر الذي أظهر قواعد تثور وتتمرد على القواعد الصارمة، والأنظمة المهذبة التي تتصور أنها لن تكون مستقرة مادامت مظهراتها تتجدد ولا تتمثل في كل جيل بالدقة والنسبة التامة، بل تنزع إلى الانزياح والتغيير والاستقلال الشخصي، فالمعطيات اللسانية التي نتلقاها تتغير دائما معجما ودلاليا وتداوليا وغير ذلك من الانعطافات في المستويات اللسانية، فاللسان الذي تكلم به الأجداد ليس هو اللغة المعاصرة التي نتداولها شئنا أم أبينا، وعلى الرغم من أنوفنا فإننا يجب أن نعترف بأن الواقع اللغوي جديد ليس كما سبق، وخاصة في الجوانب المهمة في الدرس البحثي العلمي، ومظاهره لغة الشارع والتداول الاجتماعي الذي أظهر إمكانات أخرى للتمثل اللساني والاستخدام اللغوي.

إن هناك تشريعا لسانيا، وشرحا كلاميا، لا يلتقيان على الرغم من التوجهات اللسانية التي تريد أن تهذب اللغة وتعلنها وتمنطقها، وتتجوبها عن الانحرافات إلى المعيار الموصوف سلفا بمعزل عن المجتمع وتركيباته المختلفة وفي أزمان متغيرة الوقائع والطباع، الأمر الذي لا يلبث أن يتلقى بسخرية، وأول مظاهر هذا الانحراف التلويح الألوغوني الفونولوجي في المجتمع نفسه والزمن نفسه، وهذا التقبل المتلون للسان المحافظ على القيمة اللسانية الموجدة مقبول لدى المتلقي مرفوض في الوضع الأدائي للنماذج اللسانية كتلاوة القرآن والأداء الشعري. نعم هناك أمور نريد أن يكون عليها الواقع اللغوي، لكن أن نهمل المتداول في الشارع ونُدعي الدراسة الموضوعية غير الانتقائية وغير الإقصائية أمرٌ يرفضه البحث العلمي، فالدراسة القائمة على دمج الواقع الاجتماعي والأنثروبولوجي واللغوي بعضها في بعض هو يعطينا في نظري مصداقية أكبر في التقرير العلمي للغة.

إن تمثيلنا للمظاهر الفونولوجية ما هو إلا بداية للحديث عن التمردات القواعدية في تكون القضايا اللغوية ومنها الباتولوجيا اللسانية، ومن مظاهرها قضايا المحظورات اللسانية، مثل تلك التي تتعلق بالدين والجنس والسياسة، والتي تصنف في ركن الانحرافات اللغوية مثل تلك الرواكد التي تظهر بقوة في المتغيرات الحضارية الراهن، وهي تلك السلوكات اللسانية التي تؤدي أفعالا سلوكية وانحرافية خطيرة للغاية في التكون الاجتماعي، وبحجم كثافة حضورها في الفعل اللغوي يكون البناء السلوكي العام للمجتمع وتنسج خيوط شبكته وعلاقات الإنسان المتمدن المعاصر، ومن مظاهر هذا التكون السلوكي اللساني الصياغات الجاهزة أو ما يُعبر عنه بالعبارات الاصطلاحية، وهي أول المظاهر اللسانية التي كان لها حجم كبير في الحضور اللغوي المعاصر، ثم المصاحبات الصوتية والأدائية السيميائية، ثم التمويهات التعبيرية الأخرى التي

تستحضر مقترنة بمتعلقات تاريخية وليست هي في القانون الراهن، وحضورها في الخطاب الأيديولوجي أقوى من غيره، هذا الخطاب المشحون والممزوج بقضايا غامضة غير معرفة بمكوناتها الأصلي، وهذا ما يظهر أكثر في الخطاب الشعبي والمحاكاة المخادعة لقانون تمايزها في الأجيال السابقة، حيث يلفها طابع الغموض والضبابية وتنتج أفعال أثارها سريعة التواجد وأكبر استجابة لأفعال القول، وتتعلق بالانفعالات والأمال والطموحات والميول الغريزية، وأمثلتها في الواقع: المال والجنس والطموح والحرية والدين ... وغير ذلك مما يستميل الإنسان المعاصر، حيث عمل الخطاب الراهن على تغذيتها وإشباعها والتركيز عليها لتعطي نتائج مربكة لمنتجها ومتلقيها ومربحة لمن يسيرها ويستثيرها بمكر وخداع ودهاء، وخاصة إذا تعلق بالأساسة والدعاية الخبيثين، بالتركيز على مكونات الإنسان ومكونات اللسان المبني على سرعة الاستجابة والمطلب الحضاري المتسارع.

هناك مظهر آخر لتلك الأساليب غير القانونية في نظر المعيار اللساني هو اللغة الجديدة المتمثلة في الأغاني وكتابات الجدران والأحكام الجرافيتية، بغض النظر في كونها إبداعات مسكوت عنها ومعوية في ظل مدح موازٍ لا ينتهي لأساليب اللغة المهذبة المنزاحة في إبداعات الشعراء والأدباء، ومن هنا كان لزاماً علينا الالتفات إلى هذه الجوانب اللسانية وصفاً وتحليلاً للغاية البرغماتية مثل بناء حركة اصطلاحية من هذا الجانب، ونحن نعتبر الجانب القانوني والجانب الشعبي لمظاهر تواجد اللسان مهمان، وهما حاضران معا في كسر لغة الأخلاق المدعاة مثل لغة الشعر والفن، ومنه يمكن أن نستنتج فهما أوضح للتمرد وقانوننا لسانيا خاصا به مثل الشعريات الفنية في اللسان القياسي، كما أنها تعطينا فهما جديداً في مستوى الكلمة والصوت إلى غاية الأسلوب وبناء العبارة، وبدء من تجسيد القانون الفونولوجي إلى غاية التشكل الكوني للغة والخطاب، وتبلور النظام اللساني في زمن ومكان محددين وعند إنسان بعينه، بعيداً عن كهنوت معاجم المصطلحات والإنشاءات المثقلة بقيود ليس لها مردود عند الإنسان المعاصر ولا تغني الحياة بل تؤخر المسيرة الحضارية.

ويبرز مظهر ثالث ناتج عن القصور الفهمي للقضية اللسانية وسوء الاستخدام الفعلي للقانون اللغوي عند الفرد الاجتماعي والخلية المجتمعية، وهي أن كثيراً مما نتخيله يستثمر انطلاقاً من إعدادات مسبقة وأحكام معدة سلفاً لجيل مضى ولراهن انقضى للسان، فيوجد المتكلم الذي يجبر على تمثيل لساني، شخصيةً منفصمةً غير متميزة وغير مستقلة، على الرغم من أن لكل إنسان استقلالية وجدانية وشخصية متفردة بدهاء وتسلماً، حتى إن اشتراك مع بني جلدته في المظاهر الفونومونولوجية في التصرف والتمثلات الاجتماعية للتجمع والحياة، منذ الاختلاف الفونولوجي إلى تواجد الفعل اللساني الموازي لكل التشابهات السالفة الذكر، مع توقع التمايز اللساني الجماعة عن كل جماعة سابقة ولاحقة، ومن هذه التفجيرات المفترضة ينبثق تميز الفرد والجماعة عن الآخرين، كما أن الانبثاق متفاوت الدرجات لدى الأفراد، ومثاله اللسان والأسلوب والطابع الشخصي، انطلاقاً من الصوت إلى النمط الخطابي، ومن السمة التي تختص بها مفرداته وبنيته التركيبية، وحضور الصياغات الخاصة، ونسبة الإبداع اللغوي والتفرد في الكيان

الذاتي له بعنوان الإبداع الذي تكلمنا عنه سلبا وإيجابا، وإن كنا نركز على المظهر الباثولوجي. ولتنتج سياقاته الفعلية واقتراح اصطلاحات اجتماعية لإصلاح القانون اللساني .

ثمة مظهر ناتج عن ما سبق، وهو أن هناك استخدامات اجتماعية وأساليب وتعبيرية جديدة متطورة بسرعة تستجيب للشبكات الاجتماعية المتسلطة في الجماعة اللغوية، وهي التي ظهرت مع المتغيرات التي يعيشها في اللحظة المعاصرة، أو ما يعبر عنه بالمتكلسات اللسانية ومظاهر التَّجَمُّل (Les phraséologies)، فالمعاني التي رصدناها في معاجمنا عن اللغة وتحكمت في الأفهام لم تعد قادرة في الراهن اللغوي على أداء وظيفتها أو أنها بعبارة أخرى لم تعد وظيفية، ومن آلت الكيانات اللسانية إلى الصفر بل إلى النهايات السالبة الضدية، وهذا التناهي ليس بظاهرة جديدة في التطور الدلالي، فقد تكلم العلماء عن مظاهر التشارك اللفظي والتضاد وغير ذلك مما يشبه هذه الظاهرة في الدرس اللساني التقليدي عند البشر في أي فترة زمنية، ما يهمنا هنا هو الصدمة التي نتلقاها حينما تموت الدلالة القاموسية اللفظي، وتتعلق بالبعد الفارقي في الدلالة، وهذا المظهر آلي في الخلق اللساني ويكشف عن حقيقة أخرى في الدرس اللساني والتغذية الاجتماعية والتفاعل الكوني في تولد اللسان سواء من الأيديولوجي أو المحيط الاجتماعي والبيئي والسياسي أم من تطلعات الفرد وآماله وأحلامه أم من المنعكسات الحضارية المعاصرة للمصطلح والتواضع والتعبير، وهي عوامل غير منتهية ومنها الصراع اللغوي الحضاري والفعل السياسي والسلطوي لمن يملك الزمام في التصرف اللغوي مثل أبواب السلطة من صحافة ونظام تعليمي وتلق عبر الشبكة (الإنترنت) والشارع والاشتغال الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والحربي ... وغير ذلك.

وفي مضمار حديثنا عن الفعل السياسي الذي يمارس فعلته المشينة في الحدث اللساني، فطال ميدان السلطة اللغوية إلى الفكري والمنطقي في اللغة، فغذى الظمأ الشعبي (حاجة الناس إلى لغة جديدة تعبر عن مضامين العصر) بما يخدمه من انتقاعات لسانية، وكوّن قاموس الشعب وتصرفاته اللسانية وأشبعها إلى حدّها الأقصى، ومن ثم تلاعب بالنفوس وبما يتعلّق بهذا القاموس، وخاصة في الأذهان الرخوة والمتلقي الساذج المستهلك للجهاز، ومن ثمة كوّن السائس رؤية الشعب للعالم بفعل هذا المخزون الذي لا يتعدى القاموس الذي تلقاه (محمد محمد داود، 2003، 25-32)، ومن خلال تفعيل هذا المخزون من طريق طاقات البث المختلفة المتمثلة في القنوات المباشرة أو غير المباشرة، ومنها الحروب وأسلحة الأفكار والمستجدات التقنية والأبواق الصحفية التي ما تزال تشحن القاموس الفكري للمتلقي بكل ما يملك الإنسان من كثافة طاغوية للغة، وخير مثال على ذلك المهمة الفذرة لبعض القنوات الفضائية في الفترة الأخيرة، حيث لم يترك للإنسان إلا المجال الضيق للفكر النقدي لهذه الأبواق، الذي لم يبرح الطاقة المدحية والتلقي المطبل لها، ونظر إلى هذه الأفكار بالنظرة المنبهرة الغالبة على أمره، فمتى مثلا كنا نتصور أن تكون لإسرائيل قناة تتحدث باسم الدين الإسلامي، ومتى كان الصليبيون حريصين على مصلحة الشعوب المسلمة، وهم الذين لبسوا الزائف للمفاهيم وللقيم الخالدة، لأنهم، وببساطة ركبوا الجواد العربي في الحرب على العرب وتسلحوا بسيفه، حتى أوهموا الساذج بأنهم ذوو نيات حسنة، وهذه الطبقة من ذوي الأفكار الرخوة ظلت تزداد رقعتها بالتداول بالأفكار والقشور الأيديولوجية

ومنها كانت الساحة المفضلة في عبث السياسيين والسلطويين عند من تودد إليها لقضاء مصالحه المادية والنفعية، وما يهمننا من ذلك هو هذا الفاموس المعاصر المشبع بمصطلحات توصف بالغبية عن تصورات اللغة وتراكيبها الجامدة الآتية بفعل التكرار والاجترار لا التجربة الصادقة لها، وظلت تسيطر على تصورات الفئة الغالبة في المجتمع والطبقة الهشة فيها، هذه اليد القوية لعبت دورا مهما في تحريك لعبة العنف في ظل غياب الأسلوب الحكيم في التعامل مع قضايا الخصم مثلا.

إن اللغة يملكها القوي دوما، وتبقى في أيدي الأقوياء الذين يبتكرون مفاهيم عن القيم (الشر/ الخير، النبيل/ الاحتقار...).

وبفعل التكرار والاجترار الذي يطال السوق الكلامية يتنمط الخطاب الإيديولوجي والنظام الأنطولوجي السائد في المجتمع، ومنه النظام السيمانطيقي الذي يعمل بألية تؤشرها أيقونات الاستخدام الفعلي والحاضر الخام في اللسان، هذه الأيقونات كوّنت البوصلة من منظور حضاري اتجاهاته الصراع الحضاري والجشع المادي والسياسي والوجه الشخصي للمتكلم والإشعاع الثقافي والفكري ومخزون الذاكرة التاريخي من جهة، إضافة إلى الإسهام الفردي والانطباع الذاتي والصورة الفردية التي تسير الكلام في وجهاته الإبداعية والانتماءات الذاتية، علاوة على بصمة هوية المتكلم والمالك للوعاء اللغوي، وهذه الأمور كلها تشكل وتبلور المشهد اللساني للمستهدف والمخاطب في الوقت نفسه، الذي تشعب من خلال الخطابات الحجاجية والإقناعية التي تحرك المشهد الاجتماعي من خلال أنظمة التواصل المختلفة وشفرتها، وأساسها الإنسان وأسها قضايا العيش والاشتغالات الأخرى المترتبة على العيش فردا في المجتمع.

هناك اشتغال بحثي نلح عليه وهو إعادة قراءة الدرس اللساني ببعديه الاجتماعي والبرغماتي، الذي تموقع من خلال لغة بديلة في الخطاب اليومي المعاصر، وهذا يحتم علينا قراءة الدرس اللساني من منظور خطابي للممارسة الكلامية (Roland, Barthes, 1978)، وترصد استخداماته وتلقيه من كل الزوايا التي تبحث في الوقت نفسه الأنماط والمستويات والأوجه المتعددة للسان والنظام، يعني أن لا نقصر التفسير على النمط المثالي الفني بل حتى على الجانب الباثولوجي من جوانبه الأخلاقية والسياسية والأيدولوجية والثقافية⁽¹⁾... وغير ذلك من مجالات الاتصال الخطابي.

هناك عوامل أخرى عززت هذا التوجه في النظر إلى حقيقة اللسان، والتوجه إلى دراسة الخطاب المعاصر هي تلك الحاجة الغريزية والفطرية في التقبل والإدراك وآثار النفسية وإمكانات الفعل اللساني والشروحات المشوشة التي نتلقاها عن ترسيمة الصورة الذهنية وما ينطبع عن المجازة والمناقشات التي تتجسد في قراءة النماذج الكلامية أو سماعها أو التعبير عنها بمعدل الشمولية والعمق والاعتدال وبميزان اللون اللساني الذي نتلقاه عمدا أو عن غير عمد

(1) من وجهة نظرنا أنه حينما شرعنا الحديث عن الشعريات بانزياح عن النظام اللساني، فمن المشابه أن نتحدث عن الانزياحات اللسانية والدلالية في لغة الشارع.

استحسانا أو إساءة أو استغرابا أو انتماء، تمثلا أو نقدا، نقاشا أو إبداء لوجهة نظر وحسب الاشتغال اللساني للفرد في مستوياته العمرية.

هناك اتجاه يُكتب عنه حديثا هو النزعة التي تعتبر الفرد اسفنجة تمتص إلى حدّ الإشباع واعيا أو غير واع بذلك، ناقدا أو سامعا، اللغة، والفعل المؤدي لهذا الامتصاص هو الذي نبخته في هذه الورقة، فالفعل الذي يعزز هضم ذلك وتعدي هذا الهضم بفعل المضاد من الأفكار والتصورات ثم الاستعداد للتمايز في الشخصية والتفطن للأعيب اللسانية وتساؤلاتها التي يجب أن نفعّلها بتعزيز الإيجابي للسلوك الاجتماعي وتحسين الفعل الإيديولوجي للمفاهيم، ومن ثمّ مجابهة الخطاب الدعائي وقوانينه التي تنجز في التمثلات الاجتماعية التي من بينها المنجز اللساني.

كان لعامل الأزمات تشكل خاص للسان (Micheline Cambron, 1990, 17- 29)، بل إن تكوّنه بهذا الشكل كان سلاحا بما يحمله من إثارة لبعض الحساسيات معجميا وتعبيريا وأسلوبيا، والذي يكوّن المفهومات الضدية ويسلخ عن المتلقي المفاهيم المتأصلة وذلك عبر جهاز مفهومي خاطئ بل قاصر.

إن أنموذج الثورات العربية التي تحلم باستقلال حضاري لها، وللأسف لم تتضح بعد في مجابهة الآخر الذي يجرب صياغاته اللغوية الحديثة بناء ووظيفة في الوسط العربي، عبر قنواته المختلفة في ظل ارتباك سياقي للواجهة الحضارية العربية اللغوية. هذا التخبط الذي كان من المفروض علينا دراسته وإيلاء الأهمية له لم تتفطن له إلا الأقلية من الدارسين السوسولوجيين اللسانيين، حيث من مواضيعهم المتطرق إليها المفارقات بين التصورات الذهنية والعبارة وبين الملفوظات والتلفظ وتمثلاتهما الاجتماعية في الشارع والمؤسسات الرسمية، ومثالنا عن هذه النماذج من كلمات: مرتزقة، جردان، بلطجية، فلول، شبيحة ... وغيرها، وجننا بهذه الأمثلة للتمثيل لا الإحصاء.

هناك مظهر آخر للتشكلات الباثولوجية اللغوية تنامي بمعدل هائل للتعبيرات الجراثومية وتفعيل أساليبها وهي تواتر عبارات السب والشتم والابتذال اللغوي والعنف اللفظي، والذي أدى باللغة إلى الانتحار وتُرجمت في حالات القصور اللغوي بمعادلات الإجرام السلوكي، لأنه في نظرنا مبرر في الفعل اللغوي المشحون بالعنف في شتى مظاهره، وفي الخلايا المجتمعية والتربوية ينشأ هذا التوجه اللساني، كما أن غياب التوجيه والرقابة والإشباع اللساني والفكري اللازم يمكن اللغة من التوحش وفي التصورات تترابط النيرونات بطريقة خاطئة وتصبح الإثارة اللسانية مرتبطة بالفعل الإجرامي، وتقاطعاتهما كثيرة، وبهذا الفهم راحت الأيدي الخبيثة تنمي السلوكات الفيروسية البافلوفية وتغذيها، وهنا يحدث التجاور اللساني عن حدود الأخلاق والتهديب والرفض والعدول عن الأعراف في التواصل، في قراءة مستثمرة لهذا التجاوز ظلت الأيدي الخبيثة تغازل الشعوب بالفعل الغريزي وبفعل الأيديولوجي المغلوط بل وتحاول تهديب الفعل اللساني وعقلنته ومنطقته، وتتلبس حسن النية والتسامح والانتصار إلى الحوار في ظل المعطيات المهترئة والقاعدة الهشة والمحطمة عندنا (جون كولنز، روس غلوفر، 2010)، إننا

نعلم علم اليقين متى أُثير مصطلح الإرهاب عند إسرائيل حينما كانت تمارسه على الشعب الفلسطيني، ثم ما لبث وإن لبس الأفكار الإسلامية الأصولية والشعوب العربية. وفي ظل الغياب الناقد والكتابة المضادة التي وإن وجدت، طغت عليها القراءة المنبهرة بالمنجز المعاصر الذي خطا خطوات عملاقة في البحث اللساني وآفاقه.

كل هذا التعداد للمظاهر الباثولوجية في التلقي والإنتاج والحاضر الخام في اللسان يؤكد أن حيز اللغة تحدده متغيرات المجتمع، ومن ثم يمكن أن نفهم القضايا ذات الاعتبارات الاجتماعية كالإجرام، أي أن سلطة اللغة تنفذ إلى الفعل السلوكي للفرد، واللغة حسب ج.غسدورف تعمل على توجيه الإنسان في التراتبية الاجتماعية، بحيث تقرض عليه الاستعمال الصحيح للكلمات داخل النظام الذي ينتمي إليه، وفي الوقت نفسه تساعد على الخروج من ذاته والارتباط بالمحيط العائلي والانفتاح على العالم، فبسبب اللغة يضطر الإنسان إلى التخلي عن حياته الداخلية والخاصة لمصلحة الوجود الاجتماعي الخارجي (George Gusdorf, 1968- 1977, P: 45 et la suite).

وخلاصة هذه النقطة أنه كما يقول "نورمان فيركلو": "أن الأساليب التي نتواصل بها مكيلة ببنى وقوى المؤسسات الاجتماعية التي نعيش ضمنها، ونقوم بوظيفتنا داخلها، كما ترمي إلى إظهار الكيفية التي يحدد بها ذلك الاستخدام اللغوي المعين، وبدرجات متفاوتة، هذه المؤسسات والأدوار التي نضطلع بها" (Norman Fairclough, P:265).

إن إعادة النظر في المعيار الاجتماعي متحكماً أساسياً في القانون اللغوي، ومن ثمة لا يجب أن نصف اللغة بأنها مجرد نظام من الجمل بل بوصفها خطاباً، وبكونها حدثاً متولداً من النسيج الاجتماعي وكوننا ناشئاً عن ممارسة توصف بالمغلوبة مرة وبالصحيحة تارة أخرى، وفي كونها الدينامي المتحول لا الثابت الجامد في بُنى، المستمر والمتجدد تنتظم في مستويات متفاوتة في جانبها الفني لدى الأفراد، ومقدر لها الانزياح في الاستعمال العادي والاستعاري في النماذج القياسية والدونية التي توصف باللهجية في الدراسة الكلاسيكية للغات. وعدم الإقصاء والتهميش في النقصي العلمي للمظاهر اللغوية بمختلف مستوياتها هو الذي يفصح عن القانون الحقيقي باللغة.

ثم إن الفهم العميق لنسيج المجتمع وتكونه من جهة وللمؤثرات التي تفتك به، ثم لإشعاعات هذا التنسج الجديد الذي لا يستقيم على حال، ومن جملة هذه الرؤية يتحتم علينا مراجعة الدرس اللساني العربي بربطه بين الفينة والأخرى بالمتغيرات الفونولوجية والسيكولوجية والعقلية للمجتمع والفرد، وتفسيره بذلك بمتغيراتها وما يحدث من مستجدات حضارية.

2. الانعكاسات الاجتماعية

ما نلح عليه في وصف الدينامية الاجتماعية، وانعكاساتها الخطيرة في السلوك الاجتماعي للمجتمعات المختلفة المستهلكة والصانعة للحدث اللغوي، فهناك عبء آخر يتحمله الوضع الاجتماعي والثقافي والسلوكي والتربوي لتراتبية الباثولوجيات الكلامية والممارسات الخاطئة في

الملاسنات المنحرفة، وهو الأمر الذي يقودنا إلى التساؤل عن أن تعديل التلقي اللغوي وتهذيبه تملكا وتمظهرا وتلقيا وإنتاجا يؤثر في التعديل الحركي في الوضعية الاجتماعية.

إن الواقع اللغوي انحصر في الراهن الاجتماعي والفردية في أطر ضيقة وفي قاموس محصور لتمثلات معينة لا تتيح التجاوز والانفتاح والإبداع الإيجابي في السلوك الاجتماعي، بل ظل بالعكس ينحو بها إلى المنزقات الخطرة، ومن جملة هذه المظاهر:

- تنامي قواميس السب والشتم والردذيلة والنقد اللاذع والمتحامل، التي تفضي إلى الأمراض الاجتماعية كالغيرة والحسد وبتر النسيج الاجتماعي السليم وتكون علاقات مبنية على المصلحة غير الشريفة في التواصل البشري، في ظل غياب التوجيه والإرشاد وتنمية القاموس المضاد المحتوى على الخير والنبيل والشرف ... وغيرها من المعاني السامية في المجتمع.
- تنامي قاموس العنف والملاسنة في ظل غياب الرادع ومصادقته.
- تنامي عبارات غريبة جاهزة ومسكوكات وعبارات اصطلاحية جمّلت الأساليب اللغوية، والتي كان من المفترض أن لا تتفاقم إلى الحد المكثف في الراهن اللساني العربي، الذي نعزوه إلى الغزو والتحامل للصياغات على حساب الإنجاز الابتكاري، ونظرا لمصادقية العبارة الاصطلاحية وبلاغتها كالأمثال وحضورها القوي في التعبير والتواصل، هذا كله في غياب البديل اللساني والضمور العقلي في الإبداع وتجريب القاموسي اللفظي.
- تنامي الإرهاب اللغوي والتسلط في أخذ زمام الخطاب دون ترك فرصة للتداول في كل اتجاهاته، أي لا يجب أن يبقى في وضعية المتلقي المستهلك بل يجب أن تتاح لنا الفرصة في الكلام وفي الوضعية نفسها للباتّ السابق وفي السياق نفسه وبمعدل قانون الأجداد والحتمي في التجديد الذي يمسح الرسالة باللون اللغوي العربي الأصيل، أي أن غياب القاموس الذاتي الذي يثق به المرء وعدم إتاحة الفرصة لمراجعة الذخيرة الذاكرة التاريخية اللسانية وتلقيها الجيد، أوجد هذا القاموس المشحون بالسلبية، والقاصر في الوقت نفسه، وغير الثري بالبدايل اللسانية التي تعوض في كثير من الأحيان بالفعل السلوكي الخاطئ حينما يستثيرها فعل القول، وهذا ناتج كذلك عن التلقي المغلوط للنمط اللساني التاريخي للعربية الذي قدس نماذج من التأليف إلى حد القرآن.
- المفارقة بين خطاب العقل والضمير والمنطقي وبين خطاب الغريزة والمصلحة والوجدان، في ظل غياب وعي بالخصائص المتفرد بها كل منهما، ودون رقابة في التربية اللغوية، والمباعد بينها وبين الأعراف الاجتماعية السليمة المهدبة التي لا تستجيب للأهواء.
- تمثل غالبية المردود اللغوي لأمراض العصر خاصة عند الناشئ، دون الوصول به إلى النضج الكيفي والنوعي وزجه في الشارع للاكتساب العشوائي.

- تنامي الإيقاع والرتم الشعبي اللهجوي في الواقعة اللغوية القياسية، ولم يقتصر هذا التنامي الهجين على البنى اللسانية بل تعداه إلى التصور الذهني ومن ثمة إلى الممارسة السلوكية، وكلها عوائق في سبيل الوصول إلى النماذج اللسانية الراقية.
- تنامي التعبيرات المتسترة المتمثلة في الطابوهات (المحرّمات) في غياب التوجيه القيمي النبيل للغة وفي غياب توجيه تربوي هادف للممارسة المنحرفة للغة كالشعر والكتابة عن الذي ينفس عن الذات.
- سلبية الخطاب الأيديولوجي ومنه الخطاب الديني الذي أنتج وكّرّس المفاهيم المغلوطة وكرسها، أو أنه لم يصل بعد إلى أعماق المخاطب، ومن ثم لم يكن هناك فرق بينه وبين التصورات المغلوطة والأفكار الهدامة والسلوكيات الثقافية الخاطئة، وللأسف فتحتي المخضع للفعل الديني من الأفراد ظل يستهلك منتجاً واحداً بوجه انتقائي من النصوص، فإذا بلغة الخطاب الديني لم تسمن ولم تغن في مجابهة سلاح الأفكار المستوردة.
- الدهاء والمكر في توجيه الساحة اللغوية عبر أجهزة الدعاية والشابكة إلى بنايات أخلاقية هدامة للذات منصهرة في خدمة المصالح العدوانية وفاتكة بالأنظمة اللغوية المناوئة لها، في ظل رقابة شديدة من الآخر لانشغالات المستهدف المتنوعة ومحاولة إشباعها بالمبررات المضادة والقابلة للاستحواذ عليها بدءاً بالفعل اللغوي، في غياب الأمن الفكري والقيمي والوطني والتاريخي والشخصي والأيديولوجي المواجه بعتاد حربي ومادي ضخّم ، وكان من نتائجه تبرير القبول بأبشع الجرائم في حق الذات والقيمي وتعدّي العرف والديني والوجداني... وغير ذلك.
- اختراق المعاني السامية بتحويل المعركة اللسانية إلى صراع مصالح وانشغالات زائفة تأباه التصورات بشدة.
- ومن خلال هذه المظاهر الباثولوجية في المجتمع ظهرت، بالموازاة لها، أنظمة باثولوجية لسانية لا تخضع لمنطق ولا لقانون، الأمر الذي باعد بين الاسم والمسمى اللفظي وبين الكلام والمفهوم وبين القول والفعل المجسد لهذه الأقوال المغذاة لسانياً بفعل غياب الرقابة على المستهلك والمستعمل اللغوي الكائن في الشارع والأسرة والتنشئة.
- لقد منطقت اللغة الجريمة وبررتها وكذا المفاهيم المتساوقة معها مثل الكره... وغير ذلك.

المعيار الأخلاقي في توجيه الظاهرة

قديماً، وفي الحضارة العربية، كان لترصد العبارة في المجتمع موقع هام، ولنا في الدرس الديني الإسلامي دروس وعبر، فالفحش في الكلام والبذاءة في القول صفة قبيحة حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم كل التحذير، فحكم سباب المسلم مبين في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (الأحزاب: 70-71).

نتكلم عن ظاهرة اجتماعية فَشَتْ في أوساط كثير من المسلمي ، لا يكاد مسلم -إلا من رحم الله- يسلم من هذه الظاهرة، إما فعلاً أو سماعاً من غيره، وهي ظاهرة يتهاون بها المسلمون حتى اعتادها بعض الكبار وكثير من الصغار، وبعضهم يقولها ولا يعقلها، وهي ظاهرة السباب والشتم واللعن والفحش والبذاءة، هذه الظاهرة التي انتشرت في كثير من أوساط المسلمين، حتى إنك لتدخل بعض المجالس فتسمع من الفحش والبذاءة، ومن السباب والشتم ما يجعلك لا تستطيع أن تجلس في هذا المجلس.

وفي الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وزهير بن حرب وابن نمير كلهم عن ابن عيينة واللفظ لزهير قال حدثنا سفيان وهو ابن عيينة عن ابن المنكر سمع عروة بن الزبير يقول حدثتني عائشة أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فلبس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه ألان له القول قالت عائشة فقلت يا رسول الله قلت له الذي قلت ثم ألنت له القول قال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه، حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن المنكر في هذا الإسناد مثل معناه غير أنه قال بئس أخو القوم وابن العشيرة (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه، والترمذي: البر والصلة (2002)، ورقم الحديث في صحيح البخاري: 2591 باب مداراة من يتقى فحشه).

إن الناس من إذا جلس مع لا تتحمل الجلوس معه فتتركه لفحشه ولبذاءة كلامه، حتى إنه بعض الأحيان ليصف العورات وينادي الناس بأسماء البهائم والحيوانات.

سباب المسلم فسوق، قال عليه الصلاة والسلام يصف هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وفي الحديث: حدثنا محمد بن بكر بن الريان وعون بن سلام قالوا حدثنا محمد بن طلحة ح وحدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان، وحدثنا محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة كلهم عن زبيد عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر قال زبيد فقلت لأبي وائل أنت سمعته من عبد الله يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وليس في حديث شعبة قول زبيد لأبي وائل حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن المثني عن محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور ح وحدثنا ابن نمير حدثنا عفان حدثنا شعبة عن الأعمش كلاهما عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله (صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)، فسوق: أي: خروج عن طاعة الله جل و علا.

فمن الناس من إذا نادى لعن وإذا غضب شتم، وإذا تهاتر مع بعض الناس سب وفحش في الكلام، وكفى به إثمًا وقبحاً أن الله عز وجل يبيغضه، وفي الحديث: حدثنا حفص بن عمر حدثنا

شعبة عن سليمان سمعت أبا وائل سمعت مسروقاً قال قال عبد الله بن عمرو ح وحدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم مع معاوية إلى الكوفة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أخيركم أحسنكم خلقاً. (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً).

وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، وكان إذا بالغ في العتب على أشخاص، قال (: ما باله؟! تربت جبينه)، حدثنا أصبغ قال أخبرني ابن وهب أخبرنا أبو يحيى هو فليح بن سليمان عن هلال بن أسامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً كان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له تربت جبينه (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً).

تربت جبينه أقصى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الناس، فانظروا إلى الأدب الذي تحلى به، وانظروا عفة اللسان التي اتصف بها عليه الصلاة والسلام، ثم انظروا إلى مجالسنا، وانظروا إلى ما يحدث بين المسلمين من خصومة أو مزاح وكلام وانظر إلى الفحش والبذاءة والسب والشتم واللعن.

وانظروا إلى القرآن كيف إذا تكلم عن بعض الأمور كئى ولم يصرح أدياً في الكلام والحديث، فلما أراد الله عز وجل أن يذكر الجماع ما صرح به بل سماه ملامسة وسماه مباشرة: "وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ" (البقرة: 187)، وأراد الجماع، ولكنه كئى. قال ابن عباس رضي الله عنه (إن الله كريم يكتئى ما يشاء...)، وفي تفسير الطبري حديث: حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع، وحدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر، قالاً جميعاً، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال، قال ابن عباس: المس الجماع، ولكن الله يكتئى ما يشاء بما شاء. لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (البقرة: 236).

انظروا إلى الكرم في الحديث، ثم انظروا إلى مجالسنا، وانظروا إلى السب والشتم حتى أن بعض الناس لا يتوانى ولا يتورع أن يسب ويشتم ويذكر بعض الألفاظ القبيحة أمام صغار السن فأصبح بعض صغار السن يتلفظون بها ويقولونها وهم لا يعرفون معناها، ولا يدرون ما مغزاها، ولا يشعرون بخطورتها، والسبب أنه رأى أباه يكلم أمه بهذه الألفاظ أو يكلم جاره أو يكلم صاحبه أو تنازع أبوه مع رجل آخر فسمع أباه يقول: كذا وكذا، فقلده واتبعه في هذه الكلمات.

شدة حياء النبي صلى الله عليه وسلم تتجلى في وصف الصحابة له: "كان أشد حياء من العذراء في خدرها". وفي الحديث: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من

العذراء في خدرها حدثني محمد بن بشار حدثنا يحيى وابن مهدي قالوا حدثنا شعبة مثله وإذا كره شيئاً عرف في وجهه (صحيح البخاري، كتاب المناقب).

يقول عز وجل: "مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" (سورة ق: 18، وفي صحيح البخاري أن امرأة جاءت إليه عليه الصلاة والسلام ويبين لها كيفية الغسل -قال: خذي فرضة من مسك، وتتبعي بها أثر الدم، فتطهري بها، فقالت هذه المرأة: كيف أتطهر بها يا رسول الله؟ قال: تطهري بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: سبحان الله! تطهري بها، قالت عائشة: فرأيتُ في وجهه أنه قد استحيا عليه الصلاة والسلام، فأخذت عائشة هذه المرأة في جانب البيت. (صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض وكيف تغتسل)، وأخذت تشرح لها كيف تغسل دم الحيض حياءً منه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا بذيئاً عليه الصلاة والسلام.

في يوم من الأيام سئل عليه الصلاة والسلام عن هذه الأمور فكان يجيب بمثل ما أجاب وكان يُرى في وجهه الحياء والعفة وكرم اللسان. وكان عليه الصلاة والسلام -كما وُصف- أنه: (أشد حياءً من العذراء في خدرها)، وهو أنه جاءته زوج رفاعة رضي الله عنهما، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله! إن زوجي قد بت في طريقي -أي: طلقني ثلاث طلاقات -قالت: فتزوجت عبد الرحمن -أي: زوجها الثاني، وهي تسأل، وعند رسول الله عائشة، وأبو بكر، وأحد الصحابة عند الباب وحياءً منها انظروا كيف تسأل -فقالت: يا رسول الله! وليس مع هذا الرجل إلا مثل هذه الهدية، وأخذت جزءاً من طرف ثوبها -حتى لم تستطع أن تتلفظ بهذه الكلمات، مع أنها تستفتي في دينها، قالت: إلا مثل هذه الهدية، أي: رجل ضعيف لا يستطيع أن يجامع -وكان عند الباب أحد الصحابة. فقال: يا أبا بكر! ألا تنه هذه المرأة عما تجهر به عند رسول الله؟! وما قالت كلاماً فاحشاً، ولا كلاماً بذيئاً، ولا شيئاً قبيحاً كما يقوله بعض الناس -فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لها: لعلك يا فلانة -تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا. حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتَكَ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبت طلاقي. فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك، قالت: وأبو بكر عنده، وخالد بن سعيد بالباب ينتظر أن يؤذن له، فنادى أبا بكر: ألا تسمع إلى هذه: ما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، كتاب النكاح، حديث حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك (ابن دقيق العيد، 562، 1995).

فكان عليه الصلاة والسلام أفصح منها لساناً وأشد أدباً عليه الصلاة والسلام فقال حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ، كُنَى عن الجماع، بالعُسَيْلَةِ، هل رأيتم أدباً مثل هذا الأدب؟ وهل رأيتم عفة في اللسان مثل هذه العفة؟ وهل رأيتم كرمًا وشرفاً ورجولة وأدباً مثل هذا، قال تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم: 4).

تجلس عنده عائشة، فيمر بعض اليهود، فيقولون: السام عليك يا محمد، والسام: الموت، يظنون أنه لم يفهم. ففطنت عائشة فقالت: وعليكم السام واللعنة أي: ترد عليهم مثلما شتموا، وفي رواية: قالت: عليكم السام والذام، أي: الذم، فقال: (مه يا عائشة؟! لا تكوني فاحشة) وما بالغت عائشة، لكنها ردت السيئة بالسيئة، ولكن أدبه عليه الصلاة والسلام يمنعه من هذا، فقالت: أما سمعت ما يقولون يا رسول الله؟! قال: نعم. ولكني قلت: وعليكم، وفي الحديث: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم أناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم قال وعليكم، قالت عائشة قلت بل عليكم السام والذام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لا تكوني فاحشة فقالت ما سمعت ما قالوا فقال أوليس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم"، وحدث إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش بهذا الإسناد غير أنه قال ففطنت بهم عائشة فسببتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش (مسلم، باب: السلام، رقم الحديث: 2165) وهذا هو أدبه عليه الصلاة والسلام.

من الأمور التي تزداد خطورة على هذه الخطورة قضية اللعن وما أدراك ما اللعن؟ بعض الناس اعتاد اللعن على لسانه، حتى أنه في المدح يلعن، وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أن اللعنة إذا خرجت من صاحبها تصعد إلى السماء، فتوصد أبواب السماء دونها، وترجع إلى الأرض، فتوصد أبواب الأرض دونها، ثم تأتي إلى الذي لعن -إلى الذي لعنته- فإن كان أهلاً لها أصابته اللعنة، وإلا رجعت إلى قائلها. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن اللعنة إذا وجهت إلى من وجهت إليه فإن أصابت عليه سيلاً أو وجدت فيه مسلماً وإلا قالت يا رب وجهت إلى فلان فلم أجد فيه مسلماً ولم أجد عليه سيلاً فيقال لها ارجعي من حيث جئت". (صحيح البخاري ومسند أحمد).

ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، وجاء عليه الصلاة والسلام لعن المسلم كقتله فإذا لعنته كأنك قتلته، وفي الحديث: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة أن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ومن لعن مؤمناً فهو كقتله ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث رقم 5700)

الخاتمة

إن البحث عن مكمون اللغة وكنهها غرب متلقي اللغة عن لسانه، ونشأت عنده لغة مضادة عن ذاته غدت لغة المال والجنس والقوة وحب السلطة وما يصدق الفعل الدعائي اللغوي الغريب عن الإغراء الإسلامي مثل الجنة والبعيد عن إدراك معاني النار والعقاب الإلهي المسبوقة بتكوين مفهومي سليم عن حقيقة الكون والرزق والعيش، وفي ظل وعي تام بهذه الحقيقة في

الصراع بين الخير والشر ... وغير ذلك من الصراعات الفكرية الشرسة والغليظة التي تعددت منابرها الخطابية، وفي الوقت نفسه انحصر الإصلاح في مواقع معينة.

حري بنا أن نشير إلى الدراسة المناوئة لدي سوسير ونقصد بذلك دراسة "بيير بورديو" التي تعيد القوة للكلمات وسلطتها في ذاتها وخارجها وسياقاتها وتمثلاتها وتمظهراتها بعيدا عن المشروعية والقوانين الصارمة للاستخدام (بيير بورديو، 2007)، الذي تمرد فيه المجتمع وتخلق فيه النظام اللساني وتنسجت فيه علاقاته، ومن ثمة كان الحديث مشروعا للبحث في تتبع مسارات الكلام ورسم قانون لانحرافاته في حدود الترابط الاجتماعي له، ومن ثمة فهو مشروع لإعادة قراءة درس اللساني بمحددات حدثية بعيدة عن الثابت البنوي إلى المتحول الدينامي السوسولوجي كيفاً ونوعاً.

References (Arabic & English)

- Barthes, Roland. (1978). *Leçon*, Paris. Seuil.
- Bourdieu. P. (2007). *Langage et pouvoir symbolique*. Translate in Arab Abdul Salam Benabdellali. 3eme edition, Casablanca, Morocco. Dar Toubkal.
- Cambron, Micheline. (1990). *Crise, langage, Fiction: liberté*, vol : 32, no: 5.
- Collins, J. & Glover, R. (2010). *Collateral Language, A User's Guide to America's New War*. Translate in Arab Ahmed bin Rashid bin Saeed, Dubai, Judy Publishing and Media.
- David, Mohamed. (2003). *Alugha wa assiassa fi alem ma baad 11 September*. Cairo. Dar ghraib for printing and publishing.
- Fairclough, Norman. (N.D). *language and power*, - London – New YOURK.LONGMAN.
- Gusdorf, George. (1968-1977). *La parole*, Paris. PUF.
- Ibn daqiq, Al-eid. (1995). *Ihkam al-ihkam, chareh omdat al ahkam*. Beirut. Dar al jil.

- Maari, Abu Ala. (1984). *Rissalet Alsahl wa Cahj*, achieving Aisha Abdul Rahman, 2nd edition, Cairo. Dar el-maaref,
- Saussure, F. (1972). *Cours de linguistique générale*; Paris. Payot.